

كشف الريبة عن الغيبة
للعالم الرباني زين الدين
الشهيد الثاني عليه
الرحمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي طهر السنة اوليائه عن اللغو والغيبة والنميمة
وزكى نفوسهم عن الاخلاق الدنية والشيم الذميمة والصلوة
على نبيه المصطفى المبعوث بالشريعة الحنيفية والملة القويمة و
على عترته الطاهرة التي هي على منهاج جده مقيمة وبسنته عليمة
وعن رذائل الاخلاق معصومة وبمكارمها موسومة اما
بعد فلما رايت اكثر اهل هذا العصر ممن يتسم بالعلم ويتصف
بالفضل وينتسب الى العدالة ويتبع الرياسة يحافظون
على اداء الصلوات والدؤوب في الصيام وكثير من العبادات والقربات
ويجتنبون جملة من المحرمات كالزنا وشرب الخمر ونحوهما من

[illegible]

القبايح الظاهرات ثم هم مع ذلك يصرفون كثيراً من اوقاتهم
و يتفكهون في مجالسهم بمحاوراتهم و يتلذذون انفسهم بتناول
اعراض من المؤمنين و نظرائهم من المسلمين لا يعدونه من
السيئات و لا يحذرون معه من مؤاخذة جبار السموات
و السبب المقدم لهم على ذلك و نحوه من المعاصي الواضحات
اما الغفلة عن تحريمه و ما ورد فيه من الوعيد و المناقشة في الآيات
و الروايات و هذا هو السبب الاول لاهل الغفلات
و اما لان مثل ذلك من المعاصي لا يخل عن رئاستهم و مناز لهم من الرئاسات
لخفاء هذا النوع من المنكر على من يرومون المنزلة عنده من اهل الجهالات
و لو وسوس اليهم الشيطان ان اشربوا الخمر و ازنوا بالمحصنات ما اطاعوه
لظهور فحشه عند العامة و سقوط محلهم به لديهم بل عند منقاطعي
الرذائل الواضحات و لو راجعوا عقولهم و استضاؤوا بانوار
بصائرهم لوجدوا بين المعصيتين فرقاً بعيداً و تفاوتاً شديداً
بل لا نسبة بين المعاصي المستلزمة للاخلال بحق الله سبحانه
على الخصوص و بين ما يتعلق مع ذلك بحق العبيد خصوصاً اعراضهم
فانها اجل من اموالهم و اشرف و منه شرفاً تعظم الذنب
فانها اكبر مع ما يستلزمه من الفساد الكلي كما ستقف عليه ان شاء الله

ا. تفكهت اي تعجبت

آخرتهم

الجهالات

٢. اي المعصيتين

٣. كالزنا و شرب الخمر و نحوهما

احببت ان اضع في هذه الرسالة جملة من الكلام على
الغيبة وما ورد فيها من النهي والكتاب والسنة والاثر ودلالة
العقل عليه وسميتها كشف الريبة عن احكام الغيبة
واتبعتها بما يليق بها من النميمة وبعض احكام الحسد و
ختمتها بالحث على التواصل والتحابب والمراحمة ورتبتها
على مقدمة وفصول وخاتمة

اما المقدمة ففي تعريفها وجملة من الترهيب منها

فصل الغيبة بكسر الغين وسكون الياء المثناة وفتح الباء
الموحدة اسم لقولك اغتاب فلان فلانا اذا وقع في غيبته
والمصدر الاغتياب يقال اغتاب اغتيابا والاسم الغيبة
هذا بحسب المعنى اللغوي

واما في الاصطلاح فلها تعريفان احدهما مشهور وهو
ذكر الانسان حال غيبته بما يكره نسبته اليه مما يعد نقصانا
في العرف بقصد الانتقاص والذم فاحترز بالقيد الاخير وهو
قصد الانتقاص عن ذكر العيب للطبيب مثلا او لاستدعاء الرحمة
من السلطان في حق الزمن والاعمى بذكر نقصانهما ويمكن
الغنى عنه بقيد كراهة نسبته اليه.

اي عن قصد الانتقاص

والثاني التنبيه على ما يكره لتستبشر الخ وهو اعم من الاول
لشموله صورة اللسان والاشارة والحكاية وغيرها وهو اولى
لما سياتي من عدم قصر الغيبة على اللسان وقد جاء على المشهور
قول النبي صلعم هل تدرون ما الغيبة فقالوا الله ورسوله اعلم قال
ذكرك اخاك بما يكره قيل ارايت ان كان في اخي ما اقول قال
ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته
وذكر عنده رجل فقالوا ما اعجزه فقال اغتبتم صاحبكم قالوا
يا رسول الله قلنا ما فيه فقال ان قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه
وتحريم الغيبة في الجملة اجماعي بل هي كبيرة موبقة للتصريح بالوعيد
عليها بالخصوص في الكتاب والسنة وقد نص الله على ذمها في
كتابه وشبه صاحبها باكل لحم الميتة فقال ولا يغتب بعضكم
بعضا ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه
وقال النبي ص كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه
والغيبة تناول العرض وقد جمع بينه وبين الدم والمال
وقال ص لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا يغتب بعضكم بعضا
وكونوا عباد الله اخوانا وعن جابر وابي سعيد الخدري قالا
قال رسول الله ص اياكم والغيبة فان الغيبة اشد من الزنا ان

[margin: ١ تناول خ د]

الرجل قد يزني فيتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا
يغفر له حتى يغفر له صاحبه وفي خبر معاذ الطويل المشهور عن النبي ص
ان الحفظة تصعد بعمل العبد وله نور كشعاع الشمس حتى اذا بلغ
السماء الدنيا والحفظة تستكثر عمله وتزكيه فاذا انتهى الى الباب قال
الملك الموكل بالباب اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا صاحب الغيبة
امرني ربي ان لا ادع عمل من يغتاب الناس يتجاوزني الى ربي
وعن انس قال قال رسول الله ص مررت ليلة اسري بي على قوم
يخمشون[1] وجوههم باظافيرهم فقلت يا جبرئيل من هؤلاء قال هؤلاء
الذين يغتابون الناس ويقعون في اعراضهم وقال البراء
خطبنا رسول الله ص حتى اسمع العواتق[2] في بيوتها فقال يا معشر
من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا
عوراتهم فانه من تتبع عورة اخيه تتبع الله عورته ومن تتبع
الله عورته يفضحه في جوف بيته وقال سليمان بن جابر
اتيت النبي ص فقلت علمني خيرا ينفعني الله به قال لا تحقرن
عن المعروف شيئا ولو ان تصب من دلوك في اناء المستسقي و
ان تلقى اخاك ببشر[3] حسن واذا ادبر فلا تغتابه وعن انس
قال خطبنا رسول الله ص فذكر الربا وعظم شانه فقال ان

[1] خمش اللحم اي تغير

[2] وجارية عاتق اي شابة

[3] ولبشر في فلان بوجه حسن اي الطيبة وهو حسن البشر اي طلق الوجه

١٢

الدرهم يصيبه الرجل من الربا اعظم عند الله في الخطيئة من ست
وثلثين زنية يزنيها الرجل وان اربى الربا عرض الرجل المسلم
وقال جابر كنا مع رسول الله صلعم فاتى على قبرين يعذب صاحبهما
فقال صلعم انهما لا يعذبان في كبيرة اما احدهما فكان يغتاب الناس
واما الاخر فكان لا يتنزه من بوله ودعى بجريدة رطبة او جريدتين
فكسرها ثم امر بكل كسرة فغرست على قبر فقال صلعم اما انه سيهون
من عذابهما ما كانتا رطبتين او ما لم ييبسا وقال انس
امر رسول الله صلعم الناس بصوم يوم وقال لا يفطرن احد حتى اذن
له فصام الناس حتى اذا امسوا جعل الرجل يجيء فيقول يا رسول
الله ظللت صائما فاذن لي فافطر فياذن له والرجل والرجل
حتى جاء رجل فقال يا رسول الله فتاتان من اهلك ظلتا
صائمتين وانهما تستحيان ان ياتياك فاذن لهما ان تفطرا
فاعرض عنه ثم عاوده فاعرض عنه ثم عاوده فقال صلعم انهما
لم تصوما وكيف صام من ظل هذا اليوم ياكل لحوم الناس اذهب
فمرهما ان كانتا صائمتين ان تستقيئا فرجع اليهما فاخبرهما
فاستقاءتا فقاءت كل واحدة منهما علقة من دم فرجع الى
النبي صلعم فاخبره فقال صلعم والذي نفس محمد بيده لو بقيتا في

صغيرتين

استقاء وتقيا
تكلف القيء ١٢

بطونهما لاكلتهما النار وفي رواية انه لما عرض عنه جاءته
بعد ذلك وقال يا رسول الله انهما والله لقد ماتتا او كادتا
ان تموتا فقال رسول الله ائتوني بهما فجاءتا فدعا بعس او قدح فقال
لاحديهما قيئي فقاءت من قيح ودم صديد حتى ملأت القدح و
قال للاخرى قيئي فقاءت كذلك فقال ان هاتين صامتا
عما احل الله لهما وافطرتا على ما حرم الله عليهما جلست احديهما
الى الاخرى فجعلتا تاكلان لحوم الناس وفي رواية مرفوعا من
اكل لحم اخيه في الدنيا قرب اليه لحمه في الاخرة فقيل له كله
ميتا كما اكلته حيا فياكل ويضج ويكلح ولما رجم رسول الله
الرجل في الزنا قال رجل لصاحبه هذا اقعص كما يقعص
الكلب فمر النبي معهما بجيفة فقال انهشا منها فقالا يا رسول
الله ننهش جيفة فقال ما اصبتما من اخيكما انتن من هذه
وقال الصادق الغيبة حرام على كل مسلم وانها لتاكل
الحسنات كما تاكل النار الحطب وفي الصحيح وباسناده
الى الصادق عن ابائه عن علي قال قال رسول الله اربعة
يؤذون اهل النار على ما بهم من الاذى يسقون من الحميم في
الجحيم ينادون بالويل والثبور يقول اهل النار بعضهم

لبعض

١ بقدح عظيم
٢ صديد القيح الرقيق المختلط بالدم م
٣ نهشته الحية لسعته

لبعض ما بال هؤلاء الاربعة قد آذونا على ما بنا من الاذى فرجل
معلق عليه تابوت من جمر ورجل يجر امعاءه ورجل يسيل
فاه دما وقيحا ورجل يأكل لحمه فيقال لصاحب التابوت ما
بال الاربعة قد اذانا على ما بنا من الاذى فيقول ان الاربعة مات
وفي عنقه اموال الناس لم يجد لها في نفسه اداء ولا وفاء ثم
يقال للذي يجر امعاءه ما بال الاربعة قد اذانا على ما بنا من الاذى
فيقول ان الاربعة كان لا يبالي اين اصاب البول من جسده ثم يقال
للذي يسيل فاه قيحا ودما ما بال الاربعة قد اذانا على ما بنا من الاذى
فيقول ان الاربعة كان يحاكي ينظر الى كل كلمة خبيثة فيسندها
ويحاكي بها ثم يقال للذي يأكل لحمه ما بال الاربعة قد اذانا
على ما بنا من الاذى فيقول ان الاربعة كان يأكل لحوم الناس بالغيبة
ويمشي بالنميمة وعن سنده الى النبي من مشى في غيبة اخيه
كشف عورته كانت اول خطوة خطاها وضعها في جهنم وكشف
الله عورته على رؤوس الخلائق ومن اغتاب مسلما بطل صومه
ونقض وضوؤه فان مات وهو كذلك مات وهو مستحل لما حرم
الله وعن ابي عبد الله ع قال قال رسول الله ص الغيبة اسرع
في دين المسلم الرجل من الاكلة في جوفه قال وقال رسول الله

الجلوس في المسجد انتظاراً للصلوة عبادة ما لم يحدث قيل يا
رسول الله وما الحدث قال الاغتياب وروى ابن ابي عمير
عن ابي عبد الله ع قال من قال في مؤمن ما رأته عيناه وسمعته اذناه
فهو من الذين قال الله عز وجل ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة
في الذين امنوا لهم عذاب اليم وعن المفضل بن عمر قال قال
لي ابو عبد الله من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم
مروته ليسقط من اعين الناس اخرجه الله من ولايته الى ولاية
الشيطان فلا يقبله الشيطان واوحى الله عز وجل الى موسى بن عمران
ان المغتاب اذا تاب فهو اخر من يدخل الجنة وان لم يتب فهو
اول من يدخل النار وروى ان عيسى مر والحواريون على
جيفة كلب فقال الحواريون ما انتن ريح هذا فقال عيسى ع
ما اشد بياض اسنانه كانه ينهاهم عن غيبة الكلب وينبههم
على انه لا يذكر من خلق الله الا احسنه وقيل في تفسير
قوله تعالى ويل لكل همزة لمزة الهمزة الطعان في الناس واللمزة
الذي يأكل لحوم الناس وقال الحسن والله الغيبة اسرع
في دين المؤمن من الاكلة في جسده وقال بعضهم ادركنا
السلف لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلوة ولكن في الكف

عن اعراض الناس

واعلم ان السبب الموجب للتشديد في امر الغيبة وجعلها اعظم
من كثير من المعاصي الكبيرة هو اشتمالها على المفاسد الكلية
المنافية لغرض الحكيم سبحانه بخلاف باقي المعاصي فانها مستلزمة
لمفاسد جزئية بيان ذلك ان المقاصد المهمة للشارع
اجتماع النفوس على هم واحد وطريقة واحدة وهي سلوك
سبيل الله بسائر وجوه الاوامر والنواهي ولا يتم ذلك الا بالتعاون
والتعاضد بين ابناء النوع الانساني وذلك يتوقف على اجتماع
هممهم وتصافي بواطنهم واجتماعهم على الالفة والمحبة حتى يكونوا
بمنزلة عبد واحد في طاعة مولاه ولا يتم ذلك الا بنفي الضغائن
والاحقاد والحسد ونحوه فكانت الغيبة من كل منهم لاخيه مثيرة
لضغنه ومستدعية منه لمثلها في حقه لا جرم كانت ضد
المقصود الكلي للشارع فكانت مفسدة كلية فلذلك اكثر
الله ورسوله النهي عنها والوعيد عليها وبالله التوفيق
وحيث اتينا على ما اقتضاه البيان في المقدمة فلنشرع في الفصول

الفصل الاول في اقسامها

لما عرفت ان المراد منها ذكر اخيك بما يكرهه لو بلغه او الاعلام

به او التنبيه عليه كان ذلك شاملا لما يتعلق بنقصان في بدنه
او نسبه او خلقه او فعله او قوله او دينه او دنياه حتى في ثوبه
وداره ودابته وقد اشار الصادق ع الى ذلك بقوله وجوه
الغيبة تقع بذكر عيب في الخلق والفعل والمعاملة والمذهب
والجهل واشباهه فالبدن كذكرك فيه العمش والحول والعور
والقرع والقصر والطول والسواد والصفرة وجميع ما يتصور ان
يوصف به مما يكرهه واما النسب فان تقول ابوه فاسق او خبيث
او خسيس او اسكاف او حائك ونحو ذلك مما يكرهه كيف كان
واما الخلق فان تقول انه سيء الخلق بخيل متكبر مراء شديد
الغضب جبان ضعيف القلب ونحو ذلك واما في افعاله المتعلقة
بالدين كقولك سارق كذاب شارب خائن ظالم متهاون بالصلوة
لا يحسن الركوع والسجود لا يحترز من النجاسات ليس بارا بوالديه
لا يحرس نفسه من الغيبة والتعرض لاعراض الناس واما فعله
المتعلق بالدنيا كقولك قليل الادب متهاون بالناس لا يرى لاحد
عليه حقا كثير الكلام كثير الاكل نؤوم يجلس في غير موضعه ونحو
ذلك واما في ثوبه كقولك انه واسع الكم طويل الذيل وسخ
الثياب ونحو ذلك

نؤوم

واعلم ان ذلك لا يقتصر على اللسان بل التلفظ به انما حرم
لان فيه تفهيم الغير نقصان اخيك وتعريفه بما يكرهه فالتعريض
به كالتصريح والفعل فيه كالغمز والاشارة والقول والايماء والرمز
والكتبة والحركة وكلما يفهم المقصود داخل في الغيبة مساوٍ للسان
في المعنى الذي حرم التلفظ به لاجله ومن ذلك ما روي عن عائشة
انها قالت دخلت علينا امرأة فلما ولت اومأت بيدي انها قصيرة
فقال ﷺ اغتبتيها ومن ذلك المحاكاة بان يمشي متعارجا او كما
يمشي فهو غيبة بل اشد من الغيبة لانه اعظم في التصوير و
التفهيم وكذلك الغيبة بالكتاب فان الكتاب كما قيل احد
اللسانين ومن ذلك ذكر المصنف شخصا معينا وتهجينه الكلام
في الكتاب الا ان يقترن به شيئا من الاعذار المحوجة الى ذكره كمسائل
الاجتهاد التي لا يتم الغرض من الفتوى واقامة الدليل على الصحيح
الا بتزييف كلام الغير ونحو ذلك ويجب الاقتصار على ما تندفع
به الحاجة في ذلك وليس منه قوله قال قوم كذا ما لم يصرح
بشخص معين ومنها ان يقول الانسان بعض من مر بنا اليوم
او بعض من رايناه حاله كذا اذا كان المخاطب يفهم منه شخصا
معينا لان المحذور تفهيمه دون ما به التفهيم فاما اذا لم

صح تفهيم حد

وتهجين كلامه

نفهم عليه جائز وكان رسول الله اذا كره من انسان شيئا قال ما
بال اقوام يفعلون كذا وكذا ولا يعين

ومن اخبث انواع الغيبة غيبة المتسمين بالفهم والعلم المرائين
فانهم يفهمون المقصود على صفة اهل الصلاح والتقوى ليظهروا من انفسهم
التعفف عن الغيبة ويفهمون المقصود ولا يدرون بجهلهم انهم جمعوا
بين فاحشتين الرياء والغيبة وذلك مثل ان يذكر عنده انسان
فيقول الحمد لله الذي لم يبتلنا بحب الرياسة او بحب الدنيا او بالتكيف
بالكيفية الفلانية او يقول نعوذ بالله من قلة الحياء او من سوء
التوفيق او نسأل الله ان يعصمنا من كذا بل مجرد الحمد على شيء اذا علم
منه اتصاف المحدث عنه بما ينافيه ونحو ذلك فانه يغتابه بلفظة
الدعاء وسمت اهل الصلاح وانما قصده ان يذكر عيبه بضرب من الكلام
المشتمل على الغيبة والرياء ودعوى الخلاص من الرذائل وهو عنوان
الوقوع فيها بل افحشها ومن ذلك انه يقدم مدح من يريد غيبته
فيقول ما احسن احوال فلان ما كان يقصر في العبادات ولكن قد
اعتراه فتور وابتلي بما نبتلي به كلنا وهو قلة الصبر فيذكر نفسه بالذم
ومقصوده ان يذم غيره ويمدح نفسه بالتشبه بالصالحين في ذم انفسهم
فيكون مغتابا مرائيا مزكيا نفسه فيجمع بين ثلاث فواحش وهو

يظن بجهله انه من الصالحين المتعففين عن الغيبة هكذا يلعب
الشيطان باهل الجهل اذا اشتغلوا بالعلم او العمل من غير ان يتقنوا ال
الطريق فيتبعهم ويحبط بمكايده عملهم ويضحك عليهم ويسخر بهم
ومن ذلك ان يذكر ذاكر عيب انسان فلا يتنبه له بعض الحاضرين
فيقول سبحان الله ما اعجب هذا حتى يصغي الغافل الى المغتاب ويعلم ما
يقوله فيذكر الله ويستعمل اسمه الة في تحقيق خبثه وباطله وهو يمن
على الله بذكره جهلا وغرورا ومن ذلك ان يقول جرى من فلان
كذا وابتلي بكذا بل يقول جرى لصاحبنا او صديقنا كذا تاب الله علينا
وعليه يظهر الدعاء له والتألم والصداقة والصحبة والله مطلع على
خبث سريرته وفساد ضميره وهو بجهله لا يدري انه قد تعرض لمقت اعظم مما
يتعرض له الجهال اذا جاهروا بالغيبة
ومن اقسامها الخفية الاصغاء الى الغيبة على سبيل التعجب
فانه انما يظهر التعجب ليزيد نشاط المغتاب في الغيبة فيزيد فيها فكانه
يستخرج منه الغيبة بهذا الطريق فيقول عجبت مما ذكرته ما كنت اعلم
بذلك الى الان ما كنت اعرف من فلان ذلك يريد بذلك تصديق
المغتاب واستدعاء الزيادة منه باللطف والتصديق لها غيبة
بل الاصغاء اليها بل السكوت عند سماعها قال رسول الله

المستمع احد المغتابين وقال عليه السلام السامع للغيبة احد المغتابين

ومراده كون السامع على قصد الرضا والايثار لا على وجه الاتفاق

او مع القدرة على الانكار ولم يفعل

ووجه كون المستمع والسامع على ذلك الوجه مغتابين مشاركتهما

للمغتاب في الرضا وتكيف ذهنهما بالتصورات المذمومة التي لا تنبغي

وان اختلفا في ان احدهما قائل والاخر قابل لكن كل واحد منهما

صاحب الاثم اما احدهما فذو لسان يعبر عن نفس قد تنجست بشؤم

الكذب والحرام والمعزوم عليه واما الاخر فذو سمع تقبل عنه النفس

تلك الاثار عن ايثار وسوء اختيار فتآلفهما وتعاضدهما فيمكن

من جوهرها سموم عقارب الباطل ومن ذلك قيل السامع شريك

القائل وقد تقدم في الخبر السالف ما يدل عليه حيث قال صلى الله عليه وسلم

للرجلين الذين قال احدهما اقعص الرجل كما يقعص الكلب انهشا

من هذه الجيفة فجمع بينهما مع ان احدهما قائل والاخر سامع فالمستمع

لا يخرج من اثم الغيبة الا بان ينكر بلسانه فان خاف فبقلبه وان قدر

على القيام او قطع الكلام بكلام غيره فلم يفعله لزمه ولو قال

بلسانه اسكت وهو يشتهي ذلك بقلبه فذلك نفاق وفي حشره

اخرى زائدة لا يخرج عن الاثم ما لم يكرهه بقلبه وقوله في

عن النبي ص انه قال من اذل عنده مؤمن وهو يقدر على ان ينصره فلم
ينصره اذله الله يوم القيمة على رؤس الاشهاد وعن ابي الدرداء
قال قال رسول الله ص من رد عن عرض اخيه بالغيبة كان حقا على الله
ان يرد عن عرضه يوم القيمة وقال انه من رد عن عرض اخيه
بالغيبة كان حقا على الله ان يعتقه من النار وروى الصدوق ره
باسناده الى رسول الله ص قال من تطول على اخيه في غيبة سمعها
عنه في مجلس فردها عنه رد الله عنه الف باب من الشر في الدنيا
والاخرة وان هو لم يردها وهو قادر على ردها كان عليه كوزر
من اغتابه سبعين مرة وباسناده الى الباقر ع انه قال من اغتيب
عنده اخوه المؤمن فنصره واعانه نصره الله في الدنيا والاخرة
ومن لم ينصره ولم يدفع عنه وهو يقدر على نصرته وعونه خفضه الله
في الدنيا والاخرة

واعلم انه كما يحرم على الانسان سوء القول في المؤمن وان يحدث
غيره بلسانه بمساوي الغير كذلك يحرم عليه سوء الظن وان يحدث
نفسه بذلك والمراد من سوء الظن المحرم عقد القلب
وحكمه عليه بالسوء من غير يقين به فاما الخواطر وحديث النفس
فهو معفو عنه كما ان الشك ايضا معفو عنه قال الله تعالى

الخلائق

خفضه
١٤

اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم فليس لك ان تعتقد في
غيرك سوءا الا اذا انكشف لك بعيان لا يحتمل التأويل وما لم تعلمه
ثم يقع في قلبك فالشيطان يلقيه اليك فينبغي ان تكذبه فانه افسق
الفساق وقد قال الله يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ
فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فلا يجوز تصديق ابليس
ومن هنا جاء في الشرع ان من علمت في فيه رائحة الخمر لا يجوز عليه
ان يحكم بشربها ولا يحد عليه لامكان ان يكون تمضمض به
ومجه او حمل عليه قهرا وذلك امر ممكن فلا يجوز اساءة الظن با
بالمسلم وقد قال ان الله تعالى حرم من المسلم دمه وماله وان
يظن به ظن السوء فلا يستباح الظن السوء الا بما يستباح به الدم
في المال وهو بيقين مشاهدة او ببينة عادلة او ما يجري مجراهما
من الامور المفيدة لليقين او الثبوت الشرعي وعن ابي عبد الله
اذا اتهم المؤمن اخاه انماث الايمان من قلبه كما ينماث الملح في الماء
وعنه ع من اتهم اخاه في دينه فلا حرمة بينهما وعنه ع قال
قال امير المؤمنين في كلام له ضع امر اخيك على احسنه حتى يأتيك
ما يغلبك منه ولا تظنن بكلمة خرجت من اخيك سوءا وانت
تجد لها في الخير محملا

تظنن

كانت قد تغيرت

وطريق معرفة ما يخطر في القلب في ذلك هل هو ظن سوء او هو
اختلاج وشك ان تختبر نفسك فان كان نفسك قد تغير في
نفر قلبك عنه نفورا ما واستثقله وفتر عن مراعاته وتفقده
واكرامه والاهتمام بحاله والاغتمام بسببه غير ما كان اولا فهو امارة
عقد الظن وقد قال صلعم ثلاث في المؤمن وله منهن مخرج
فمخرجه من سوء الظن ان لا يحققه اي لا يحقق في نفسه بعقد
ولا فعل لا في القلب ولا في الجوارح اما في القلب فبتغيره الى النفرة
والكراهة وفي الجوارح بالعمل بموجبه والذي ينبغي فعله عند
خطور خاطر سوء على مومن ان يزيد في مراعاته ويدعو له بالخير
فان ذلك يغيظ الشيطان ويدفعه عنك فلا يلقي اليك بعد ذلك
خاطر سوء خيفة من اشتغالك بالدعاء والمراعاة ومهما وضح فسق
ومهما عرفت هفوة من مومن فانصحه في السر ولا يخدعنك الشيطان
فيدعوك الى اغتيابه واذا وعظته فلا تعظه وانت مسرور
باطلاعك على نقصه لينظر اليك بعين التعظيم وانت تنظر اليه
بعين الاستحقار عند بذل الوعظ بل لكن قصدك تخليصه من
الاثم وانت حزين كما تحزن على نفسك اذا دخل عليك نقصان
وينبغي ان يخطر بقلبك ان تركه ذلك من غير نصيحتك احب

بكفه

اليك من يذكر بالنصيحة فان انت فعلت ذلك كنت قد جمعت بين اجر الوعظ واجر الغم بمصيبته واجر الاعانة على دينه

ومن ثمرات سوء الظن التجسس فان القلب لا يقنع بالظن ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس وهو ايضا منهي عنه قال الله تعالى ولا تجسسوا و

قد نهى الله سبحانه وتعالى في هذه الاية الواحدة عن الغيبة وسوء الظن و

التجسس ومعنى التجسس ان لا تترك عباد الله تحت ستر الله فتتوصل الى الاطلاع وهتك الستر حتى ينكشف لك ما لو كان مستورا عنك كان

اسلم لقلبك ولدينك فتدبر ذلك راشدا وبالله التوفيق

الفصل الثاني في العلاج الذي يمنع الانسان عن الغيبة

اعلم ان مساوي الاخلاق كلها انما تعالج بمعجون العلم والعمل وانما علاج كل علة بتضاد سببها فلنبحث عن سبب الغيبة اولا ثم نذكر

علاج كف اللسان عنها على وجه يناسب علاج تلك الاسباب

فنقول جملة ما ذكره من الاسباب الباعثة على الغيبة عشرة

اشيا، قد نبه الامام الصادق عليها اجمالا بقوله اصل الغيبة

يتنوع بعشرة انواع شفاء غيظ ومساعدة قوم وتصديق خبر

بلا كشفه وتهمة وسوء ظن وحسد وسخرية وتعجب وتبرم

وتزين ونحن نشير اليها مفصلة الاول تشفي الغيظ

وذلك اذا جرى سبب غضب به عليه فاذا هاج غضبه يشتفي بذكر
مساويه وسبق اللسان اليه بالطبع ان لم يكن دين وازع وقد يمتنع
من تشفي الغيظ عند الغضب فيحتقن الغضب في الباطن ويصير حقدا
ثابتا فيكون سببا دائما لذكر المساوي فالحقد والغضب من البواعث
العظيمة على الغيبة

الثاني موافقة الاقران ومجاملة الرفقاء ومساعدتهم على الكلام
فانهم اذا كانوا يتفكهون بذكر الاعراض فيرى انه لو انكر او قطع
المجلس استثقلوه ونفروا عنه فيساعدهم ويرى ذلك من حسن المعاشرة
ويظن انه مجاملة في الصحبة وقد يغضب رفقاؤه فيحتاج الى ان
يغضب لغضبهم اظهارا للمساهمة في السراء والضراء فيخوض معهم
في ذكر العيوب والمساوي

الثالث ان يستشعر من انسان انه سيقصده ويطول لسانه
فيه او يقبح حاله عند محتشم او يشهد عليه بشهادة فيبادره
قبل ذلك ويطعن فيه ليسقط اثر شهادته وفضاحته او يبتدي
بذكر ما فيه صادقا ليكذب عليه بعده فيروج كذبه بالصدق
الاول ويستشهد به ويقول ما من عادتي الكذب فاني اخبرتكم بكذا
وكذا من احواله فكان كما قلت

الى شى

الرابع ان ينسب الى شى فيريد ان يتبرأ منه فيذكر الذى فعله وكان من حقه ان يبرى نفسه ولا يذكر الذى فعله ولا ينسب غيره اليه او يذكر غيره بانه كان مشاركا له فى الفعل ليمهد بذلك عذر نفسه فى فعله

الخامس ارادة التصنع والمباهاة وهو ان يرفع نفسه بتنقيص غيره فيقول فلان جاهل وفهمه ركيك وكلامه ضعيف وغرضه ان يثبت فى ضمن ذلك فضل نفسه ويريهم انه افضل منه او يحذر ان يعظم مثل تعظيمه فيقدح فيه لذلك

السادس الحسد وهو انه ربما يحسد من يثنى الناس عليه ويحبونه ويكرمونه فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلا اليه الا بالقدح فيه فيريد ان يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن اكرامه والثناء عليه لانه يثقل عليه ان يسمع ثناء الناس عليه واكرامهم له وهذا هو الحسد وهو غير الغضب والحقد والحسد قد يكون مع الصديق المحسن و القريب الموافق

السابع اللعب والهزل والمطايبة وتزجية الوقت بالضحك فيذكر غيره بما يضحك الناس على سبيل المحاكاة والتعجب

التعجب

الثامن السخرية والاستهزاء استحقارا له فان ذلك قد يجري في الحضور فيجري ايضا في الغيبة ومنشأه التكبر واستصغار المستهزء به

التاسع وهو مأخذ دقيق ربما يقع فيه الخواص واهل الحذر من مزال اللسان وهو ان يغتم بسبب ما يبتلى به احد فيقول مسكين فلان قد غمني امره وما ابتلي به ويذكره بسبب الغم فيكون صادقا في اغتمامه ويلهيه الغم عن الحذر عن ذكر اسمه فيذكره بما يكرهه فيصير به مغتابا فيكون غمه ورحمته خيرا ولكن ساقه الى الشر من حيث لا يدري والترحم والتغمم ممكن من دون ذكر اسمه ونسبته الى ما يكره فيهيجه الشيطان على ذكر اسمه ليبطل به ثواب اغتمامه وترحمه

العاشر الغضب لله تعالى فانه قد يغضب على منكر قارفه انسان فيظهر غضبه ويذكر اسمه على غير وجه النهي على المنكر وكان الواجب ان يظهر غضبه عليه على ذلك الوجه خاصة وهذا مما يقع فيه الخواص ايضا فانهم يظنون ان الغضب اذا كان لله تعالى كان عذرا كيف كان وليس كذلك

اذا عرفت هذه الوجوه التي هي اسباب الغيبة فاعلم ان الطريق في كف اللسان عن الغيبة يقع على وجهين احدهما على الجملة والآخر على التفصيل اما على الجملة فهو ان يعلم تعرضه لسخط الله

بغيبته كما قد سمعته في الأخبار المتقدمة وان يعلم انه انما يحبط حسناته

فانها تنقل في القيامة حسناته الى من اغتابه بدلا عما اخذه من عرضه فان لم يكن

له حسنات نقل اليه من سيئاته وهو مع ذلك متعرض لمقت الله تعالى

ومشبه عنده بآكل الميتة وقد روي عن النبي صلعم انه قال ما النار في اليبس

باسرع من الغيبة في حسنات العبد وروي ان رجلا قال لبعض الفضلاء

بلغني انك تغتابني فقال ما بلغ من قدرك عندي ان احكمك في حسناتي

فمهما آمن العبد بما وردت به الأخبار لم يطلق لسانه بالغيبة خوفا من ذلك

وينفعه ان يتدبر ايضا في نفسه فان وجد فيها عيبا اشتغل بعيب نفسه

وذكر قوله صلعم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ومهما وجد

عيبا فينبغي ان يستحيي من ان يترك نفسه ويذم غيره بل ينبغي ان

يعلم ان عجز غيره عن نفسه في التنزه عن ذلك العيب كعجزه ان كان

ذلك عيبا يتعلق بفعله واختياره وان كان امرا خلقيا فالذم له

ذم للخالق فان من ذم صنعة فقد ذم الصانع قال رجل لبعض

الحكماء يا قبيح الوجه فقال ما كان خلق وجهي الي فاحسنه

وان لم يجد عيبا في نفسه فليشكر الله ولا يلوثن نفسه باعظم

العيوب فان ثلب الناس واكل لحم الميتة من اعظم العيوب فيه صح

ذا عيوب كثيرة بل لو انصف من نفسه لعلم ان ظنه بنفسه انه

برئ من كل عيب جميل بنفسه وهو من اعظم العيوب

وينبغي ان يعلم ان تالم غيره بغيبته كتالمه بغيبة غيره له فاذا

كان لا يرضى لنفسه ان يغتاب فينبغي ان لا يرضى لغيره ما لا يرضاه

لنفسه فهذه معالجات جملية

فاما التفصيل فهو ان ينظر الى السبب الباعث له على الغيبة

ويعالجه فان علاج العلة بقطع سببها وقد عرفنا اسباب الغيبة

اما الغضب فيعالجه بان يقول انا امضيت غضبي عليه لعل الله

تعالى يمضي غضبه علي بسبب الغيبة اذ نهاني عنها فاستجرأت على

نهيه واستخففت بزجره وقد قال ع ان لجهنم بابا لا يدخلها

الا من شفى غيظه بمعصية الله تع وقال ع من اتقى ربه كل لسانه

ولم يشف غيظه وقال ع من كظم غيظا وهو يقدر على ان

يمضيه دعاه الله يوم القيمة على رؤس الخلائق حتى يخيره في اي

الحور شاء وفي بعض كتب الله تع يا ابن ادم اذكرني حين تغضب

اذكرك حين اغضب فلا امحقك فيمن امحق واما الموافقة

فبان تعلم ان الله تع يغضب عليك اذا طلبت سخطه في رضا المخلوقين

فكيف ترضى لنفسك ان توقر غيرك وتحقر مولاك فتترك

رضاه لرضاهم الا ان يكون غضبك لله تع وذلك لا يوجب

ان تذكر المغضوب عليه بسوء بل ينبغي ان تغضب لله ايضا على
رفقائك اذ ذكروه بالسوء فانهم عصوا ربك بافحش الذنوب وهي
الغيبة واما تزيين النفس بنسبة الخيانة الى الغير حيث تستغني
عن ذكر الغير فعلاجه ان يعرف ان التعرض لمقت الخالق اشد من
التعرض لمقت الخلق وانك بالغيبة متعرض لسخط الله ثم لا تدري
انك تتخلص من سخط الناس ام لا فتخلص نفسك في الدنيا بالتوهم
وتهلك في الاخرة وتخسر حسناتك بالحقيقة وتحصل ذم الله لك نقدا
وتنتظر دفع ذم الخلق نسيئة وهذا غاية الجهل والخذلان واما عذرك
كقولك اني ان اكلت الحرام ففلان ياكل وان قبلت كذا ففلان يقبل
وان قصرت في كذا من الطاعة ففلان مقصر ونحو ذلك فهذا جهل
لانك تعتذر بالاقتداء بمن لا يجوز الاقتداء به فانه من خالف امر
الله ثم لا يقتدى به كائنا من كان ولو دخل غيرك النار وانت تقدر
على ان لا تدخلها لم توافقه ولو وافقته سفه عقلك فما ذكرته غيبة
وزيادة معصية اضفتها الى ما اعتذرت عنه وسجلت بين جمع
المعصيتين على جهالتك وغباوتك وكنت كالشاة تنظر الى العنز ترد
نفسه من الجبل فهي ايضا تردي نفسها ولو كان لها لسان فصيح

بالعذر وقالت المعز الكبش هني وقد اهالت تقشر فكذلك اهل

لكنت تضحك من جهلهما وحالك مثل حالهما ثم لا تعجب ولا تضحك

من نفسك واما قصدك المباهات وتزكية النفس بزيادة الفضل

بان تقدح في غيرك فينبغي ان تعلم انك بما ذكرته ابطلت فضلك

عند الله تعالى وانت من اعتقاد الناس فضلك على خطر وربما انقص

اعتقادهم فيك اذا عرفوك بثلب الناس فتكون ما قد بعت عند

الخالق يقينا بما عند المخلوق وهما ولو حصل لك من المخلوق اعتقاد

الفضل لكانوا لا يغنون عنك من الله شيئا واما الغيبة للحسد

فهو جمع بين عذابين لانك حسدته على نعمة الدنيا وكنت معذبا

بالحسد فما قنعت بذلك حتى اضفت اليه عذاب الآخرة فكنت

خاسرا في الدنيا فجعلت نفسك خاسرا في الآخرة لتجمع بين النكالين

فقد قصدت محسودك فاصبت نفسك واهديت اليه حسنتك

فاذا انت صديقه وعدو لنفسك اذ لا تضره غيبتك وتضرك

وتنفعه اذ تنقل اليه حسنتك او تنقل اليك سيئته ولا تنفعك

فقد جمعت الى خبث الحسد جهل الحماقة وربما يكون حسدك

وقدحك سبب انتشار فضل محسودك كما قيل

واذا اراد الله نشر فضيلة ... طويت اتاح لها لسان حسود

واما الاستهزاء فمقصودك منه اخزاء غيرك عند الناس باخزاء نفسك عند الله وعند الملائكة والنبيين فلو تفكرت في حسرتك وحيائك وخجلتك وخزيك يوم تحمل سيئات من استهزأت به وتساق الى النار لادهشك ذلك عن اخزاء صاحبك ولو عرفت حالك لكنت اولى ان تضحك منه فانك سخرت به عند نفر قليل وعرضت نفسك لان ياخذ بيدك في القيمة على ملا من الناس ويسوقك تحت سيئاته كما يساق الحمار الى النار مستهزئا بك وفرحا بخزيك ومسرورا بنصرة الله تعالى اياه وتسليطه على الانتقام واما الرحمة على اثمه فهو حسن ولكن حسدك ابليس فاستنطقك بما تنقل من حسناتك اليه ما هو اكثر من رحمتك فيكون جبرا لاثم المرحوم فيخرج عن كونه مرحوما وتنقلب انت مستحقا لان تكون مرحوما اذ حبط اجرك ونقصت عن حسناتك وكذلك الغضب لله تعالى لا يوجب الغيبة فانما حبب الشيطان اليك الغيبة ليحبط اجر غضبك وتصير معرضا لغضب الله تعالى بالغيبة وبالجملة فعلاج جميع ذلك المعرفة والتحقق بهذه الامور التي هي من ابواب الايمان فمن قوي ايمانه بجميع ذلك انكف عن الغيبة لا محالة

الفصل الثالث في الاعذار المرخصة في الغيبة

اعلم ان المرخص في ذكر مساوئ الغير هو غرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصل اليه الا به فيدفع ذلك اثم الغيبة وقد حصروها في عشرة الاول التظلم فان من ذكر قاضيا بالظلم والخيانة واخذ الرشوة كان مغتابا عاصيا اما المظلوم من جهة القاضي فله ان يتظلم الى من يرجو منه ازالة ظلمه وينسب القاضي الى الظلم اذ لا يمكنه استيفاء حقه الا به وقد قال ص لصاحب الحق مقال وقال ص مطل الغني ظلم وقال ص مطل الواجد يحل عرضه وعقوبته الثاني الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي الى منهج الصلاح ومرجع الامر في هذا الى القصد الصحيح فان لم يكن ذلك هو المقصود كان حراما الثالث الاستفتاء كما تقول للمفتي ظلمني ابي او اخي فكيف طريقي في الخلاص والاسلم هنا التعريض بان تقول ما قولك في رجل ظلمه ابوه او اخوه وقد روي ان هندا قالت للنبي ص ان ابا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني انا وولدي افآخذ من غير علمه فقال ص خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف فذكرت الشح والظلم لها ولولدها ولم يزجرها رسول الله ص اذ كان قصدها الاستفتاء

الرابع تحذير المسلم من الوقوع في الخطر والشر ونصح المستشير
فاذا رايت متفقها يتلبس بما ليس من اهله فلك ان تنبه الناس على
نقصه وقصوره عما يؤهل نفسه له وتنبيههم على الخطر اللاحق
لهم بالانقياد اليه وكذا اذا رايت رجلا يتردد الى فاسق يخفي
امره وخفت عليه من الوقوع بسبب الصحبة فيما لا يوافق الشرع
فلك ان تنبهه على فسقه مهما كان الباعث لك الخوف على افشا
البدعة وسراية الفسق وذلك موضع الغرور والخديعة من
الشيطان اذ قد يكون الباعث على ذلك هو الحسد له على تلك المنزلة
فيلبس عليك الشيطان ذلك باظهار الشفقة على الخلق وكذلك
اذا رايت رجلا يشتري مملوكا وقد عرفت المملوك بعيوب منقصة
فلك ان تذكرها للمشتري فان في سكوتك ضرر المشتري وفي ذكرك
ضرر العبد لكن المشتري اولى بالمراعاة ولتقتصر على العيب المنوط به
ذلك الامر فلا تذكر في عيب التزويج ما يخل بالشركة او المضاربة
او السفر مثلا بل تذكر في كل امر ما يتعلق بذلك الامر ولا تتجاوزه
قاصدا نصح المستشير لا الوقيعة ولو علم انه يترك التزويج بمجرد
قوله لا يصلح لك فهو الواجب فان علم انه لا ينزجر الا بالتصريح
بعيبه فله ان يصرح به قال النبي اترعوون عن ذكر الفاجر

حتى نعرفه الناس اذكروه بما فيه يحذره الناس وقال لفاطمة
بنت قيس حين شاورته في خطابها اما معوية فرجل صعلوك لا مال
له واما ابو جهم فلا يضع العصا عن عاتقه الخامس الجرح في النقد
للشاهد والراوي ومن ثم وضع العلماء كتب الرجال وسموهم الى
الثقات والمجروحين وذكروا اسباب الجرح غالبا ويشترط اخلاص
النصيحة في ذلك كما مر بان يقصد في ذلك حفظ اموال المسلمين و
ضبط السنة وحمايتها عن الكذب ولا يكون حامله العداوة و
التعصب وليس له الا ذكر ما يخل بالشهادة والرواية منه ولا يتعرض
لغير ذلك مثل كونه ابن ملاعنة او شبهه اللهم الا ان يكون
متظاهرا بالمعصية كما سياتي السادس ان يكون المقول فيه
مستحقا لذلك لتظاهره بسببه كالفاسق المتظاهر بفسقه بحيث
لا يستنكف من ان يذكر بذلك الفعل الذي يرتكبه فيذكر
بما هو فيه لا بغيره قال رسول الله من القى جلباب الحياء عن وجهه
فلا غيبة له وظاهر الخبر جواز غيبته وان استنكف من ذكر
ذلك الذنب وفي جواز اغتياب مطلق الفاسق احتمال ناش
من قوله لا غيبة لفاسق ورد بمنع اصل الحديث او بحمله على فاسق
خاص او بحمله على النهي وان كان بصورة الخبر وهذا هو الاجود الا

ان يتعلق بذلك غرض ديني و مقصد صحيح يعود على المغتاب بان يرجع او يرتدع عن معصيته بذلك فيلحق بباب النهي عن المنكر الرابع
ان يكون الانسان معروفا باسم يعرب عن عيبه كالاعرج والاعمش فلا
اثم على من يقول ذلك فقد فعل العلماء ذلك لضرورة التعريف ولانه
صار بحيث لا يكرهه صاحبه لو علمه بعد ان صار مشهورا او الحق ان
ما ذكره العلماء المعتمدون من ذلك يجوز التعويل فيه على حكايتهم
واما ذكره عن الاحياء فمشروط بعلم رضاء المنسوب اليه به لعموم النهي
وحينئذ يخرج عن كونه غيبة وكيف كان فلو وجد عنه معدلا وامكنه
التعريف بعبارة اخرى فهو اولى الخامس لو اطلع العدد الذين يثبت
بهم الحد او التعزير على فاحشة جاز ذكرها عند الحاكم بصورة الشهادة
في حضرة الفاعل وغيبته ولا يجوز التعرض لهما في غير ذلك الا ان
يتجه فيه احد الوجوه الاخرى السادس قيل اذا علم اثنان من
رجل معصية شاهداها فاجرى احدهما ذكرها في غيبة ذلك
العاصي جاز لانه لا يؤثر عند السامع شيئا وان كان الاولى
تنزيه النفس واللسان عن ذلك لغير غرض من الاغراض المذكورة
خصوصا مع احتمال نسيان المقول له لتلك المعصية او خوف
اشتهارها عنهما السابع اذا سمع احدهما بالآخر وهو لا يعلم

استحقاق المقول عنه الغيبة ولا عدمه فلذلك يجب حمل القائل

لامكان استحقاق المقول عنه فيحمل فعل القائل على الصحة ما لم يعلم

فساده لان ردعه يستلزم انتهاك حرمته وهو احد المحرمين

والاولى التنبيه على ذلك الى ان يتحقق المخرج منه لعموم الادلة وترك

الاستفصال فيها وهو دليل ارادة العموم حذرا من الاغراء بالجهل

ولان ذلك لو تم لتمشى فيمن يعلم عدم استحقاق المقول عنه بالنسبة

الى السامع لاحتمال اطلاع القائل على ما يوجب تسويغ مقالة

وهو يهدم قاعدة النهي عن الغيبة وهذا الفرد مستثنى من حيث مسماها

الغيبة وقد تقدم انه احد الغيبتين

وبالجملة فالتحرز عنها من دون وجه راجح في فعلها فضلا عن الاباحة

اولى لتتسم النفس بالاخلاق الفاضلة ويؤيد اطلاق النهي فيما

تقدم كقوله صلى الله عليه وسلم اهل تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال

ذكرك اخاك بما يكره وامامع رجحانها كرد المبتدعة وزجر الفسقة

والتنفير منهم والتحذير من اتباعهم فذلك يوصف بالوجوب مع امكانه

فضلا عن غيره والمعتمد في ذلك كله على المقاصد فلذلك يفصل المستنبط

عن ملاحظة مقصده واصلاحه والله الموفق

الفصل الرابع فيما يلحق بالغيبة عند

المقدمة وله اخص من الغيبة وقد يتعلق به نهي خاص

لما عرفت ان الغيبة تطلق على ذكرها ابسوء الغير ذكره ويكرهه ولا تولونه وعلى التنبيه عليه بكناية واشارة وغيرهما وعلى حديث النفس به وعقد القلب عليه وان لم يذكره دخل في هذا التعريف افراد اخر من النوع المحرم على الخصوص وهي امور احدها النميمة وهي نقل قول الغير الى المقول فيه كما تقول فلان تكلم فيك بكذا وكذا سواء كان نقل ذلك بالقول ام بالكتابة ام بالاشارة والرمز وحكاية ذلك النقل كثيرا ما يكون متعلقه نقصانا او عيبا في المحكي عنه موجبا لكراهته له واعراضه عنه كان ذلك راجعا الى الغيبة ايضا فجمع بين معصية الغيبة والنميمة فلاجرم حسن في هذه الرسالة التنبيه على النميمة وما ورد فيها من النهي على الخصوص فانها احدى المعاصي الكبائر كما ستسمعه

وثانيها كلام ذي اللسانين الذي يتردد بين المتخاصمين ونحوهما ويكلم كل واحد منهما بكلام يوافقه فان ذلك مع ما ورد فيه من النهي الخاص يرجع الى الغيبة بوجه ما والى النميمة بوجه اخر بل يسمى شرا ايضا النميمة كما سياتي عن قول النبي صلى الله عليه وآله تجدون من شر عباد الله يوم القيمة من يأتي هؤلاء بحديث هؤلاء وهؤلاء بحديث هؤلاء فانه كلام يكرهه

كل واحد منهما او باغضه فان الانسان لا يعجب من كلام خصمه بما يرضيه ولا من يوثر فيه ما يغيظه بل هو محسود ومن جملة الاعداء فيتعلق الكراهة لذلك الكلام بكل منهما فلنتكلم فيه ايضا على وجه الايجاز ونذكر ما ورد فيه من النهي

وثانيهما الحسد وهو كراهة النعمة على الغير ومحبة زوالها عن المنعم عليه وهو ايضا مع كونه من المحرمات الخاصة والمعاصي الكبيرة يرجع الى الغيبة القلبية بوجه لانه حكم على القلب بشيء يتعلق بالغير يكرهه لو سمعه اشد كراهة والمها فيجمع بين معصية الحسد والغيبة فلنذكر جملة من الكلام فيه وما ورد فيه من النهي بل هو اولى الثلثة بالذكر لكثرة وقوعه في هذا العصر وابتلاء الخواص به بل هو داؤهم ليس لهم عنه مناص واولى ما يهتم العاقل برده والعلم الحاضر فنقول الكلام هنا في مقامات ثلثة

المقام الاول النميمة قال الله تعالى همّاز مشّاء بنميم وقال عتل بعد ذلك زنيم قال بعض العلماء دلت هذه الاية على ان من لم يكتم الحديث ومشى بالنميمة ولد زنا لان الزنيم هو الدعيّ وقال ويل لكل همزة قيل الهمزة النمام وقال تعالى حكاية عن امرأة نوح وامرأة لوط فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار

مع الداخلين قيل كانت امرئة لوط تخبر بالضيفان وامرئة نوح ع
تخبر بانه مجنون وقال النبي ص لا يدخل الجنة نمام وفي حديث اخر لا
يدخل الجنة قتات والقتات هو النمام وقال ص احبكم الى الله تع
احسنكم اخلاقا الموطئون اكنافا الذين يالفون ويولفون وان
ابغضكم الى الله تع المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاخوان الملتمسون
للبرآء العثرات وقال ص الا اخبركم بشراركم قالوا بلى قال المشاؤن
بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون للبرءاء العيب وقال
ابو ذر رض قال رسول الله ص من شاد على مسلم بكلمة ليشينه بها
بغير حق شانه الله تع بالنار يوم القيمة وقال ابو الدرداء قال
رسول الله ص ايما رجل اشاع على رجل كلمة وهو منها برئ
ليشينه بها في الدنيا كان حقا على الله عج ان يذيبه بها يوم
القيمة في النار وعنه ص ان الله تع لما خلق الجنة قال لها تكلمي
قالت سعد من دخلني قال الجبار جل جلاله وعزتي وجلالي لا يسكن
فيك ثمانية نفر من الناس لا يسكن فيك مدمن خمر ولا مصر على
الزنا ولا قتات (وهو النمام) ولا ديوث ولا الشرطي ولا المخنث
ولا قاطع رحم ولا الذي يقول على عهد الله ان لم افعل كذا
وكذا ثم لم يف به وعن ابي جعفر الباقر ع انه قال الجنة

محرمة على القتاتين المشائين بالنميمة وعن ابي عبدالله قال قال
امير المؤمنين شراركم المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة المبتغون
للبراء المعايب وروي ان موسى استسقى لبني اسرائيل حين اصابهم
قحط فاوحى الله تعالى اليه اني لا استجيب لك ولا لمن معك وفيكم نمام
قد اصر على النميمة فقال موسى ومن هو يا رب حتى نخرجه من بيننا فقال
يا موسى انهاكم عن النميمة واكون نماما فتابوا باجمعهم فسقوا وروي
ان رجلا اتبع حكيما سبعمائة فرسخ في سبع كلمات فلما قدم عليه
قال اني جئتك للذي اتاك الله من العلم اخبرني عن السماء
ما اثقل منها وعن الارض وما اوسع منها وعن الحجارة وما اقسى
منها وعن النار وما احر منها وعن الزمهرير وما ابرد منه و
عن البحر وما اغنى عنه وعن اليتيم وما اذل منه فقال الحكيم
البهتان على البريء اثقل من السموات والحق اوسع من الارض
والقلب القانع اغنى من البحر والحرص والحسد احر من النار و
الحاجة الى القريب اذا لم تنجح ابرد من الزمهرير وقلب الكافر اقسى
من الحجر والنمام اذا بان امره اذل من اليتيم
واعلم ان النميمة تطلق في الاكثر على من ينم قول الغير الى المقول
فيه كما تقول فلان كان يتكلم فيك بكذا وكذا وليست

مخصوصة به بل تطلق على ما هو اعم من المقول كما مر في الغيبة

وحدها بالمعنى الاعم كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه

ام المنقول اليه ام كرهه ثالث وسواء كان الكشف بالقول ام

بالكتابة ام الرمز ام الايماء وسواء كان المنقول من الاعمال ام من

الاقوال وسواء كان ذلك عيبا ونقصانا على المنقول عنه ام لم

يكن بل حقيقة النميمة افشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه

بل كل ما راه الانسان من احوال الانسان فينبغي ان يسكت عنه

الا ما في حكايته فائدة لمسلم او دفع لمعصية كما اذا راى من تناول

مال غيره فعليه ان يشهد به مراعاة لحق المشهود عليه فاما اذا راه

يخفي مالا لنفسه فذكره فهو نميمة وافشاء للسر فان كان ما ينم به

نقصانا او عيبا في المحكي عنه كان قد جمع بين الغيبة والنميمة

والسبب الباعث على النميمة اما ارادة السوء بالمحكي عنه او اظهار

الحب للمحكي له او التفرج بالحديث والخوض في الفضول

وكل من حملت اليه النميمة وقيل له ان فلانا قال فيك كذا وكذا

او فعل فيك كذا وكذا وهو يدبر في افساد امرك او في ممالاة

عدوك او تقبيح حالك او ما يجري مجراه فعليه ستة امور

الاول ان لا يصدقه لان النمام فاسق وهو مردود الشهادة قال

الله تعالى ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة

الثاني ان ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح له فعله قال الله تعالى وأمر

بالمعروف وانه عن المنكر

الثالث ان يبغضه في الله فانه بغيض عند الله ويجب بغض من

يبغضه الله تعالى

الرابع ان لا تظن باخيك السوء بمجرد قوله لقوله تعالى اجتنبوا كثيرا

من الظن بل تثبت حتى يتحقق الحال

الخامس ان لا يحملك ما حكى لك على التجسس والبحث ليتحقق لقوله تعالى

ولا تجسسوا

السادس ان لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه فلا تحكي نميمته

فتقول ان فلان قد حكى لي كذا وكذا فتكون به نماما ومغتابا وتكون

قد اتيت بما نهيت عنه وقد روي عن علي ان رجلا اتاه يسعى اليه

برجل فقال يا هذا نحن نسأل عما قلت فان كنت صادقا مقتناك

وان كنت كاذبا عاقبناك وان شئت ان نقيلك اقلناك فقال

اقلني يا امير المؤمنين وقد شهد في ذلك عمر بن عبد العزيز فقد

روي انه دخل اليه رجل فذكر عنده عن رجل شيئا فقال عمر

ان شئت نظرنا في امرك فان كنت كاذبا فانت من اهل هذه

الآية ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا وان كنت صادقا من اهل هذه الآية
هماز مشاء بنميم وان شئت عفونا عنك فقال العفو يا امير المؤمنين
لا اعود اليه ابدا وقد روي ان حكيما من الحكماء زاره بعض اخوانه و
اخبره بخبر عن غيره فقال له الحكيم قد ابطأت في الزيارة واتيتني بثلث
جنايات بغضت الي اخي وشغلت قلبي الفارغ واتهمت نفسك
الامينة وروي ان بعض الخلفاء قال لرجل بلغني انك قلت في
كذا وكذا فقال الرجل ما قلت ولا قلت فقال ان الذي اخبرني
صادق فقال الزهري وكان جالسا لا يكون النمام صادقا فقال
صدقت اذهب بسلامة وقال الحسن من نم اليك نم عليك
وفيه اشارة الى ان النمام ينبغي ان يبغض ولا يوثق بصداقته و
كيف لا يبغض وهو لا ينفك من الكذب والغيبة والغدر والخيانة
والغل والحسد والنفاق والافساد بين الناس والخديعة وهو
ممن سعى في قطع ما امر الله تعالى به ان يوصل قال الله تعالى ويقطعون
ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض وقال تعالى انما
السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق
والنمام منهم وقال عم ان من شر الناس من اتقاه الناس لشره
والنمام منهم وقال عم لا يدخل الجنة قاطع قيل قاطع بين الناس

وهو النمام وقيل قاطع الرحم وقال لقمن الحكيم لابنه يا بني
اوصيك بخصال ان تمسكت بهن لم تزل سيدا ابسط خلقك
للقريب والبعيد وامسك جهلك عن الكريم واللئيم واحفظ
اخوانك وصل اقاربك وامنهم من قبول ساع او سماع باغ
يريد افسادك ويروم خداعك وليكن احد اخوانك من اذا فارقتهم
وفارقوك لم تعبهم ولم يعيبوك وقال بعضهم لو صح ما نقله
النمام اليك لكان هو المجترى بالشتم عليك والمنقول عنه اولى
بحلمك لانه لم يقابلك بشتمك

وبالجملة فشر النمام عظيم ينبغي ان يتوقى حكي باع بعضهم
عبدا وقال للمشتري ما فيه عيب الا النميمة قال رضيت فاشتراه
فمكث الغلام اياما ثم قال لزوجة مولاه ان زوجك لا يحبك
وهو يريد ان يتسرى عليك فخذي الموسى واحلقي من قفاه شعرات
حتى اسحر عليها فيحبك ثم قال للزوج ان امرأتك اتخذت
خليلا وتريد ان تقتلك فتناوم لها حتى تعرف فتناوم
فجاءت المرأة بالموسى فظن انها تقتله فقام وقتلها فجاء اهل
المرأة وقتلوا الرجل فوقع القتال بين القبيلتين وطال الامر

المقصد الثاني كلام ذي اللسانين الذي يتردد بين

لا اثنين سيما المتعاديين و يكلم كل واحد منهما بكلام يوافقه وقل ما يخلو عنه من شاهد متعاديين و ذلك عين النفاق وهي من المعاصي الكبائر المتوعد عليه بخصوصه روي عمار بن ياسر عن النبي صلى الله عليه وآله من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيمة وعنه صلى الله عليه وآله تجدون من شر عباد الله يوم القيمة ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بحديث هؤلاء وهؤلاء بحديث هؤلاء وفي حديث آخر الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه و قيل مكتوب في التورية بطلت الامانة والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين يهلك الله يوم القيمة كل شفتين مختلفتين وقال عليه السلام ابغض خليقة الله اليه يوم القيمة الكذابون المستكبرون والذين يكثرون البغضاء لاخوانهم في صدورهم فاذا لقوهم تخلقوا لهم والذين اذا دعوا الى الله ورسوله كانوا ابطاء واذا دعوا الى الشيطان وامره كانوا سراعا وروى الصدوق باسناده الى علي عليه السلام قال قال رسول الله يجيء يوم القيمة ذو الوجهين دالعا لسانه في قفاه واخر من قدامه يلتهبان نارا حتى يلتهبا نجسده ثم يقال له هذا الذي كان في الدنيا ذا وجهين وذا لسانين يعرف بذلك يوم القيمة وبالاسناد الى الباقر عليه السلام قال بئس العبد عبد يكون ذا وجهين

وفي الساعين يطري اخاه شاهدا ويأكله غائبا ان اعطي حسده

وان ابتلي خذله وفي الاثنين عنه ع قال بئس العبد عبد همزة لمزة

يقبل بوجه ويدبر بوجه وفي الاثنين قال قال الله تعالى لعيسى بن

مريم يا عيسى ليكن لسانك في السر والعلانية لسانا واحدا وكذلك

قلبك اني احذرك نفسك وكفى بي خبيرا لا يصلح لسانان في

فم واحد ولا سيفان في غمد واحد ولا قلبان في صدر واحد

وكذلك الاذهان

واعلم ان ذا اللسانين يتحقق كونه ذا اللسانين بامور منها ان

ينقل كلام واحد الى الآخر وهو مع ذلك نميمة وزيادة فان النميمة

تتحقق بالنقل من احد الجانبين فقط ومنها ان يحسن لكل واحد

منهما ما هو عليه من المعاداة مع صاحبه وان لم ينقل بينهما كلاما

ومنها ان يعد كل واحد منهما بان ينصره ويساعده ومنها

ان يثني على كل واحد منهما في معاداته واولى منه ان يثني عليه

في وجهه واذا خرج من عنده ذمه والذي ينبغي ان يسكت او

يثني على المحق منهما في حضوره وغيبته وبين يدي عدوه

ولا يتحقق اللسانان بالدخول على المتعاديين ومجاملة كل واحد

منهما مع صدقه في المجاملة فان الواحد قد يصادق متعاديين

ولكن هذا فرض بعيد لا نصل الى حد الاخوة اى لو تحققت الصداقة لاقتضت معاداة العدو كما هو المشهور من ان الاصدقاء ثلثة الصديق وصديق الصديق وعدو العدو والاعداء ثلثة العدو وعدو الصديق وصديق العدو

فان قيل كثيرا ما يتفق اختلاط الناس مع الامراء واعداء الدين المتظاهرين فهل يكون داخلا فى ذلك فى النهى والنفاق كما ورد من انه سئل بعض الصحابة انا ندخل على امرائنا فنقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره

قلنا ان كان القائل مستغنيا عن الدخول على الامير وغير مخالطة العدو الدينى واختار الاجتماع معه والصحبة لاجل اختيار طلب الجاه والمال زيادة على القدر الضرورى فهو ذو لسانين ومنافق كما ذكره الطيبى وعليه محمل الخبر وقد قال عم حب الجاه والمال ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل وان كان محتاجا الى ذلك اتقاء ضرورة فهو معذور ولا حرج عليه منه فان انقاء الشر واجب قال ابو الدرداء انا لنكشر فى وجوه اقوام وان قلوبنا لتبغضهم وروى انه مر رجل على النبى فقال بئس رجل العشيرة فلما دخل عليه اقبل عليه فقيل له فى ذلك فقال عم ان شر الناس الذى

بكوم انقاء لشره

المقام الثالث الحسد وهو من اعظم الادواء واكبر المعاصي

واثرها وافسدها للقلب وهي اول خطيئة وقعت في الارض لما

حسد ابليس ادم فحمله على المعاصي [المصيبة] فكانت السلبية في ذلك الى الابد

وقد امر الله نبيه بالاستعاذة من شره فقال تعالى ومن شر حاسد اذا

حسد بعد ان استعاذ من الشيطان والساحر واثرهما منزلتهما

والاخبار النبوية فيه لا تحصى كثرة قال رسول الله صلعم الحسد ياكل

الحسنات كما تاكل النار الحطب وقال عم ستة يدخلون النار قبل

الحساب بستة الامراء بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين

بالكبر والتجار بالخيانة واهل الرستاق بالجهالة والعلماء بالحسد

وقال عم دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء والبغضة وهي

الحالقة لا اقول حالقة الشعر ولكن حالقة الدين والذي نفس

محمد بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا

الا انبئكم بما يثبت ذلك لكم افشوا السلام وفي خبر معاذ عنه عم

ان الحفظة تصعد بعمل العبد يزف كانه زفت العروس الى اهلها

حتى اذا انتهوا الى السماء الخامسة بذلك العمل الحسن من جهاد

وحج له ضوء كضوء الشمس فيقول الملك انا ملك صاحب [الحسد]

انه كان يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله ويسخط ما رضي
الله امر فخرج رب ان لا ادع عمله يتجاوز في الى غيره وقال الصمع
الحاسد مضر بنفسه قبل ان يضر بالمحسود كابليس اورث بحسده
لنفسه اللعنة ولادم الاجتباء والهدى والرفعة الى محل حقائق
العهد والاصطفاء فكن محسودا ولا تكن حاسدا فان ميزان
الحاسد ابدا خفيف بثقل ميزان المحسود والرزق مقسوم فما
ذا ينفع الحسد الحاسد وماذا يضر الحسد المحسود
والحسد اصله من عمى القلب وجحود فضل الله وهما جناحان
للكفر بالحسد وقع ابن آدم في حسرة الابد وهلك مهلكا لا ينجو منه
ابدا ولا توبة للحاسد لانه مستمر عليه معتقد به مطبوع فيه
يبدو بلا معارض به ولا سبب والطبع لا يتغير عن الاصل وان
عولج وكفى بالحسد داء بلاغة العلماء بالنار كما ورد في الحديث
السابق
واعلم ان الحسد يهيج خمسة اشيا احدها افساد الطاعات
قال رسول الله ان الحسد يأكل الحسنات كما تاكل النار الحطب
والثاني فعل المعاصي والشرور وقد قال بعض الفضلاء للحاسد
ثلث علامات يتملق اذا شهد ويغتاب اذا غاب ويشمت با

بالمصيبة و حسبك ان الله امر بالاستعاذة من شره وقرنه
بالشيطان والساحر النافث في العقد كما تقدم و الثالث
التعب والغم من غير فائدة بل مع كل وزر ومعصية قال بعضهم
لم ار ظالما اشبه بالمظلوم من حاسد نفس دائم وعقل هائم وغم لازم
و الرابع الحرمان والخذلان فلا يكاد يظفر بمراد ولا ينصر على عدو
وقد قيل الحاسد غير منصور و كيف يظفر بمراده ومراده
زوال نعم الله عن عباده وكيف ينصر على اعدائه وهم عباد الله
الذين نظر الله اليهم واسبغ نعمه عليهم سيما اذا كانت النعمة نعمة العلم
والكلام في الحسد طويل لا عنا لعلماء القلوب به وعظم عنه
وقوة دائه في قلوب الخاصة والعامة و لنقتصر هنا في البحث
على مواضع الاولى فحقيقة الحسد وحكمه واقسامه في
حقيقة انبعاث القوة الشهوية الى تمني مال الغير او الحالة التي
هو عليها او زوالها عن ذلك الغير و هو مستلزم لحركة القوة
الغضبية ولثباث الغضب وهو امر وزيادته بحسب زيادة
حال المحسود التي يتعلق بها الحسد و لذلك قال عليه الحاسد
مغتاظ على من لا ذنب له و هو نوع من انواع الظلم والجور و
قال علي ع ايضا لا راحة مع حسد و وجه فلظهر من حقيقته

فان شهوة الحاسد وفكره في كيفية حصول الحالة المحسودة فيها وفي كيفية زوالها عن هيئة المستلزمة لحركة آلات البدن في ذلك مستلزم لعدم الراحة

وقد اتفق العقلاء على ان الحسد مع انه رذيلة عظيمة للنفس فهو من الاسباب العظيمة لخراب العالم اذ ان الحاسد كثيرا ما يكون محركا وسعيه في هلاك ارباب الفضائل واهل الشرف والاموال الذين يقوم بوجودهم عمارة الارض اذ لا يتعلق الحسد بغيرهم من اهل الخسة والفقر حتى لا يقصر في ذلك سعيه دون ان تزول تلك الحالة المحسودة بها عن المحسود او يهلك هو في تلك الحركات الحسية الفعلية والقولية ولذلك قيل حاسد النعمة لا يرضيه الا زوالها وما دام الباعث للقوة الغضبية قائما فهي قائمة متحركة ومحركة وكثيرا ما نرى السعاية بين يدي الامراء والسلاطين لعلم الساعي بقدرتهم على تنفيذ اغراضه ولقرب طباعهم الى قبول قوله من الغير لمشاركتهم في الطباع وغلبة القوى الشهوية والغضبية فيهم ولكن كثيرا ما نرى حركة الحاسد في ازالة النعمة المحسودة من لدن الله ثم المحسود بين العنايات فيحرسهم ويزيد نعمتهم فلا يتوجه الحاسد عليهم سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق فيصير نعمتهم سببا لخراب

الارض فيفسد الحرث والنسل والله لا يحب الفساد

واذ قد عرفت انه لا حسد الا على نعمة فاذا انعم الله على اخيك
بنعمة فلك فيها حالتان احديهما ان تكره تلك النعمة وتحب
زوالها وهذه الحالة تسمى حسدا والثانية ان لا تحب زوالها
ولا تكره وجودها ودوامها ولكنك تشتهي لنفسك مثلها و
هذا تسمى غبطة وقد تختص باسم المنافسة قال الله تعالى وفي
ذلك فليتنافس المتنافسون وقد تسمى المنافسة حسدا والحسد
منافسة كقول الفضل وقثم ابني العباس لعلي رضي الله عنه حين ابى
عليهما بان لا يذهبا الى النبي صلى الله عليه وسلم ولا يسئلانه الولاية على الصدقة
وقد كانا ارادا ذلك ما هذا منك الا نفاسة والله لقد زوجك
ابنته فما نفسنا ذلك عليك وكقول النبي صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنين
رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله
علما فهو يعمل به ويعلمه الناس والمحرم من الحالتين هي الحالة
الاولى وهي المخصوصة بالذم قال صلى الله عليه وسلم المؤمن يغبط والمنافق يحسد
اللهم الا ان تكون النعمة قد اصابها فاجر يستعين بها على اذى
الخلق وتهييج الفتنة وفساد الدين ونحو ذلك فلا تضره
الكراهة لها ومحبة زوالها اذا لم يكن ذلك من حيث انها

نعمة بل من حيث انها آلة الفساد و يدل على عدم تحريم الحالة
التنافسية الاية المتقدمة والحديث وقد قال تعالى سابقوا الى
مغفرة من ربكم والسابقة انما تكون عند خوف الفوت كالعبدين
يتسابقان الى خدمة مولاهما و يجزع كل واحد منهما ان يسبقه صاحبه
فيحظى عند مولاه بمنزلة لا يحظى هو بها بل قد تكون المنافسة
واجبة اذا كان المنافس فيه واجبا اذ لو لم يحب مثله لكان راضيا
بالمعصية المحرمة وقد تكون مندوبة كالمنافسة في الفضائل المندوبة
من انفاق الاموال ومكارم الاخلاق وقد يوصف بكلا باحته
اذا كان مباحا و بالجملة فهي تابعة للفعل المنافس فيه لكن في
المنافسة دقيقة وخطر غامض يجب على طالب الخلاص التحرز منه
وهو انه اذا ايس عن ان ينال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه
ونقصانه فلا محالة يرغب في زوال النقصان وانما يزول باحد امرين
ان ينال مثله او ان يزول نعمة المنافس فاذا انسد احد الطريقين
عن الساعي يكاد القلب ان يشتهي الطريق الاخرى اذ بزوال النعمة
يزول التخلف المرغوب عنه فيتحقق نفسه فان كان بحيث لو القي
الامر اليه ورد الى اختياره لسعى في ازالة النعمة عنه فهو حسود
حسدا مذموما وان كانت التقوى تمنعه عن ازالة ذلك

عفى عما يجده في طبعه من ارتياح الى زوال النعمة كان كارها له

لذلك من نفسه بعقله

واذ قد عرفت حقيقة الحسد فاعلم ان له مراتب اربع الاولى
ان يحب زوال النعمة عنه وان كانت لا تنتقل اليه وهذا غاية
الخبث واعظم افراد الحسد الثانية ان يحب زوال النعمة اليه
لرغبته في تلك النعمة بحيث يكون مطلوبه تلك النعمة لا مجرد زوالها
عن صاحبها الثالثة ان لا يشتهي عينها بل يشتهي لنفسه مثلها
فان عجز عن مثلها احب زوالها كي لا يظهر التفاوت بينهما
وهذه الثلاثة محرمة وهي مترتبة في القوة ترتيبها في اللفظ
الرابعة ان يشتهي لنفسه مثلها فان لم يحصل فلا يحب زوالها
عنه وهذا هو المجرد المخصوص باسم الغبطة بل المندوب اليه
في الدين وتسميته حسدا تجوز

الثاني في الاسباب المثيرة للحسد وهي كثيرة جدا الا انها ترجع
الى سبعة العداوة والتعزز والتكبر والتعجب والخوف
من فوت المقاصد وحب الرياسة وخبث النفس وبخلها
فانه انما يكره النعمة عليه اما لانه عدوه فلا يريد له الخير و
هذا لا يختص بالامثال واما لانه يخاف ان يتكبر عليه وهو

٢ بالنعمة

لا يطيق احتمال الكبر وعظمته لعزة نفسه وهو المراد بالتعزز واما
ان يكون في طبعه ان يتكبر على المحسود ويمتنع ذلك عليه بنعمته و
هو المراد بالتكبر واما ان تكون النعمة عظيمة والمنصب كبيرا فيتعجب
من فوز مثله بمثل تلك النعمة وهو التعجب واما ان يخاف من
فوات مقاصده بسبب نعمته بان يتوصل بها الى مزاحمته في اغراضه
واما ان يكون لحب الرياسة التي تبتني على الاختصاص بنعمة لا يساوى
فيها واما ان لا يكون بسبب من هذه الاسباب بل بخبث النفس و
شحها بالخير لعباد الله تعالى وقد اشار سبحانه الى السبب الاول
بقوله ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم والى الثاني في
الثالث بقوله لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم
اى كان لا يثقل علينا ان نتواضع له ونتبعه اذا كان عظيما وكانوا
قد قالوا كيف يتقدم علينا غلام يتيم وكيف نطأطأ له رؤسنا والى
الرابع بقوله قالوا ما انتم الا بشر مثلنا انؤمن لبشرين مثلنا ولئن اطعتم
بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون فتعجبوا من ان يفوز بشر برتبة الرسالة
والوحي والقرب من الله تعالى بشر مثلهم فحسدوهم وقالوا متعجبين ابعث
الله بشرا رسولا فقال تعالى او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم
و اعظم الاسباب فسادا الخامس والسادس لتعلقهما غالبا بعلماء

الشيء ونظايرهم وسياط الخامس يرجع الى متزاحمين على مقصود واحد فان كل واحد منهما يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عونا له في الانفراد بمقصوده ومن هذا الباب تحاسد الضرات في التزاحم على مقاصد الزوجية والاخوة في التزاحم على نيل المنزلة في قلب الابوين للتوصل به الى الكرامة والمال والتلامذة لاستاذ واحد في نيل المنزلة عنده والعالمين المتزاحمين على طائفة من المتفقهة محصورين اذ يطلب كل واحد منزلة في قلبهم للتوصل بهم الى اغراضهم ويرجع السادس الى محبة الانفراد بالرياسة والاختصاص بالثنا والفرح بما يمدح به من انه واحد الدهر ولا نظير له فانه متى سمع بنظير له في اقصى العالم ساءه ذلك واحب موته او زوال النعمة التي بها يشاركه في المنزلة وهذا زيادة على ما في نفوس احاد العلماء من طلب الجاه والمنزلة في قلوب الناس للتوصل الى المقاصد سوى الرياسة وقد كان علماء اليهود ينكرون رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يؤمنون به خوفا ان تبطل رياستهم وان يصيروا تابعين بعد ان كانوا متبوعين مهما نسخ علمهم

وقد يجتمع بعض هذه الاسباب او اكثرها او جميعها في شخص واحد فيعظم فيه داء الحسد ويتمكن في قلبه ويقوى قوة لا يقدر معه

على الاخفاء والمحاملة بل يفسك بحجاب المحاملة ويظهر العداوة بالمكاشفة
ولا يكاد يزول الا بالموت وقد ان يتفق الحاسد بسبب او احد من هذه
الاسباب بل الكثر واصل العداوة والحسد التزاحم على غرض واحد
والغرض الواحد لا يجمع متباعدين بل متناسبين فلذلك ترى
الحسد يكثر بين الامثال والاقران والاخوة وبني العم والاقارب
ويقل في غيرهم الا مع الاجتماع في احد الاغراض المفرقة نعم من
اشتد حرصه على الجاه فاحب الصيت في جميع اطراف العالم لما هو
فيه فانه يحسد كل من هو في العالم وان بعد ممن ساهمه في
الخصلة التي يفاخر بها ومنشأ جميع ذلك حب الدنيا فان الدنيا
هي التي تضيق عن المتزاحمين اما الاخرة فلا ضيق لها وانما
مثلها مثل العلم فان من عرف الله تعالى وملائكته وانبيائه وملكوت
ارضه وسمائه لم يحسد غيره اذا عرف ذلك ايضا لان المعرفة لا تضيق
على العارفين بل المعلوم الواحد يعرفه الف الف عالم ويفرح بمعرفته
ويلتذ به ولا تنقص لذة واحد بسبب غيره بل يحصل بكثرة العلماء
زيادة الانس وثمرة الافادة والاستفادة فلذلك لا يكون بين علماء
الدين محاسدة لان مقصدهم بحر واسع لا ضيق فيه وغرضهم المنزلة
عند الله تعالى ولا ضيق ايضا فيه بل يزيد الانس بكثرتهم

نعم اذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا لان المال
اعيان واجسام اذا وقعت في يد واحد خلت عنه يد الاخر ومعنى
الجاه اذ معناه ملك القلوب ومهما امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم
انصرف عن تعظيم الاخر او نقص منه لا محالة فيكون ذلك سببا للتحاسد
واما العلم فلا نهاية له ولا يتصور استيعابه فمن بذل جهده في تحصيله
واشتغل نفسه في الفكر في جلال الله وعظمته صار ذلك عنده الذ
من كل نعيم ولم يكن ممنوعا منه ولا مزاحما فيه فلا يكون في قلبه حسد
لاحد من الخلق لان غيره ايضا لو عرف مثل معرفته لم تنقص لذته
بل زادت لذته بموانسته بل مثل العالمين بالحقيقة المتمسكين
بالطريقة كما قال الله تعالى عنهم ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا
على سرر متقابلين فهذا حالهم في الدنيا فما ذا يظن عند انكشاف
الغطا ومشاهدة المحبوب في العقبى فلا تحاسد في الجنة ايضا اذ لا مضايقة
فيها ولا مزاحمة

فعليك ايها الاخ وفقنا الله واياك ان كنت بصيرا وعلى
نفسك مشفقا ان تطلب نعيما لا زحمة فيه ولذة لا مكدر لها والله
ولي التوفيق

الثالث في اشارة وجيزة الى الدواء الذي ينفي مرض الحسد عن القلب

اعلم ان الحسد من الامراض العظيمة للقلوب ولا تداوى امراض القلب
الا بالعلم والعمل والعلم النافع لمرض الحسد هو ان تعلم تحقيقا ان الحسد
ضرر عليك في الدنيا والدين ولا ضرر به على المحسود في الدنيا ولا في الدين
بل ينتفع به فيهما ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدو نفسك و
صديق عدوك فارقت الحسد لا محالة اما كونه ضررا عليك في الدين
فهو انك بالحسد سخطت قضاء الله تع وكرهت نعمته التي قسمها لعباده
وعدله الذي اقامه في ملكه بخفي حكمته واستنكرت ذلك واستبشعته
وهذه جناية على حدقة التوحيد وقذى في عين الايمان وناهيك
بهما جناية على الدين وقد انضاف اليه انك غششت رجلا من المؤمنين
وتركت نصيحته وفارقت اولياء الله تع وانبياءه في حبهم الخير لعباد
الله وشاركت ابليس وسائر الكفار في محبتهم للمؤمنين البلايا
وزوال النعم وهذه خبائث في القلب تاكل حسنات القلب كما تاكل
النار الحطب وتمحوها كما يمحو الليل النهار واما كونه ضررا في الدنيا
عليك فهو انك تتألم بحسدك وتتعذب به ولا تزال في كد وغم
اذ اعداؤك لا يخليهم الله تع عن نعم يفيضها عليهم فلا تزال تتعذب
بكل نعمة تراها وتتألم بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى مغموما محروما
متشعب القلب ضيق النفس كما تشتهيه لاعدائك وكما يشتهي اعداؤك لك

لك هذه كنت تريد المحنة لعدوك فتنجزت في الحال محنتك و
غمك ولا تزول النعمة عن المحسود بحسدك ولو لم تكن تؤمن بالبعث
والحساب لكان مقتضى الفطنة ان كنت عاقلا ان تحذر من الحسد
لما فيه من الم القلب ومساءته مع عدم النفع فكيف وانت عالم
بما في الحسد من العذاب الشديد في الآخرة فما اعجب من العاقل
ان يتعرض لسخط الله تعالى من غير نفع يناله بل مع ضرر يحتمله والم
يقاسيه فيهلك دينه ودنياه من غير جدوى ولا فائدة
واما انه لا ضرر على المحسود في دينه ودنياه فواضح لان النعمة
لا تزول عنه بحسدك بل ما قدره الله تعالى له من اقبال ونعمة
فلا بد وان يدوم الى اجل قدره الله ثم لا حيلة في دفعه ولكن
النعمة قد حصلت بسبب من علم او عمل فلا حيلة في دفعه
بل ينبغي ان تلوم انت نفسك حيث سعى وتعب وشمر وكسلت
ونمت فكان حالك كما قيل هذا سعوا سعي الكرام فادركوا
او سلموا للواقع الاقدار ومهما لم تزل النعمة بالحسد لم يكن
على المحسود ضرر في الدنيا ولا كان عليه اثم في الآخرة ولعلك
تقول ليت النعمة كانت تزول عن المحسود بحسدي وهذا غاية
الجهل فانه بلاء تشتهيه اولا لنفسك فانك ايضا لا تخلو من

عدو يحسدك فلو كانت النعم تزول بالحسد لم يبق لله عليك نعمة
ولا على الخلق نعمة حتى نعمة الايمان لان الكفار يحسدون المؤمنين
عليه قال الله تعالى ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما
يضلون الا انفسهم وان اشتهيت ان تزول نعمة الغير عنه بحسدك
ولا تزول عنك بحسد غيرك فهذا غاية الجهل والغباوة فان كل
واحد من حمقى الحساد ايضا يشتهي ان يخص بهذه الخاصية فلست
باولى من غيرك فنعمة الله تعالى عليك في ان لم تزل نعمته عنك بحسد
غيرك من النعم التي يجب عليك شكرها وانت بجهلك تكرهها
واما ان المحسود ينتفع به في الدين والدنيا فواضح اما منفعته
في الدين فهو انه مظلوم من جهتك لا سيما اذا اخرجك الحسد الى
القول والفعل بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه
فهي هدايا تهديها اليه فانك بذلك تهدي اليه حسناتك حتى تلقاه
يوم القيامة مفلسا محروما عن النعمة كما حرمت في الدنيا عن النعمة
فكانك اردت زوال النعمة عنه فلم تزل نعم كان عليك نعمة اي
وفقك للحسنات فنقلتها اليه فاضفت له نعمة الى نعمة واضفت
الى نفسك شقاوة الى شقاوة واما منفعته في الدنيا فهو ان اهم
اغراض الخلق مساءة الاعداء وغمهم وشقاوتهم وكونهم معذبين

مغمومين ولا عذاب اعظم مما انت فيه من الم الحسد وغاية اماني اعدائك ان يكونوا في نعمة وان تكون في غم وحسرة بسببهم وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم وقد قال عليه السلام لا راحة لحسود وقال الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له وقد عرفت من تضاعيف هذه المباحث حجر الكلمتين ومن اجل ذلك ينبغي انك لا يشمت اعداؤك موتك بل يشمتوا ان تطول حيوتك في عذاب الحسد لتنظر الى نعمة الله عليهم وينقطع قلبك حسدا ولذلك قيل

لا مات اعداؤك بل خلدوا ❀ حتى يروا منك الذي يكمد

لا زلت محسودا على نعمة ❀ فانما الكامل من يحسد

ففرح عدوك بغمك وحسدك اعظم من فرحه بنعمه فاذا تاملت هذا عرفت انك عدو نفسك وصديق عدوك اذ تعاطيت ما تضررت به في الدنيا والاخرة وانتفع به عدوك في الدنيا والاخرة وصرت مذموما عند الخلق والخالق مذموما في الحال والمآل ثم لم تقتصر على تحصيل مراد عدوك حتى ادخلت عظيم السرور على ابليس الذي هو اعدى اعدائك لانك ما احببت ما احب اهل الخير لانفسهم فتكون معهم لان المرء مع من احب فاحببت ابليس لذلك فتكون معه وقد تظاهرت الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم بان المرء مع من احب وانك انما

تكن عالما او متعلما فكن محبا فقد فاتك محبتك ثواب الحب و
اللحاق بهم وعساك تحاسد رجلا من اهل العلم وتحب ان تخطي
في دين الله تعالى وينكشف خطاؤه ليفتضح وتحب ان يعرض له ما يمنعه
عن العلم والتعليم واي اثم يزيد على هذا فليتك اذا فاتك اللحاق
بهم ثم اغتممت به فاتك الاثم وعذاب الاخرة وقد جاء في الحديث ان
اهل الجنة ثلثة المحسن والمحب له والكاف عنه اي فريكف عنه الاذى
والحسد والبغض فانظر كيف ابعدك ابليس عن المداخل الثلثة
فقد نفذ عليك حسد ابليس وما نفذ حسدك على عدوك بل على
نفسك فلو كوشفت بحالك في يقظة او منام لرأيت نفسك ايها
الحاسد في صورة من يرمي عدوه بحجارة ليصيب بها مقتله فلا
يصيبه بل يرجع حجره على حدقته اليمنى فيقلعها فيزيد غضبه ثانيا
فيعود الى الرمي اشد من الاول فيرجع على عينه الاخرى فيعميها فيزداد
غضبه فيعود ثالثا فيرجع على راسه فيشجه وعدوه سالم في كل
حال واعداؤه حوله يفرحون بما اصابه ويضحكون منه فهذا
حال الحسود بل حاله اقبح لان الحجر المفوت للعين انما يفوت ما لو
بقي لفات بالموت لا محالة والاثم الحاصل للحاسد فانه لا يفوت
بالموت بل يسوقه الى غضب الله والى النار فلان يذهب عينه

في الدنيا خير من ان تبقى له عين يدخل بها النار فيقلعها ليهب الله
فانظر كيف انتقام الله من الحاسد اذ اراد زوال النعمة عن المحسود
فازالها عن نفسه اذ السلامة من الاثم نعمة ومن الغم نعمة اخرى
وقد رأى الناس منه تصديقا لقوله تعالى ولا يحيق المكر السيء الا باهله
فهذه هي الادوية العلمية * فمهما تفكر الانسان فيها بذهن صاف
وقلب حاضر انطفى من قلبه نار الحسد وعلم انه مهلك نفسه و
مفرح عدوه ومسخط ربه ومنغص عيشه

وربما ابتلي بعين ما يشتهيه
لعدوه وقل ما شمت شامت
بمساءة احد الا وابتلي بمثلها

واما الدواء العملي فبعد ان يتدبر ما تقدم ينبغي ان يكلف نفسه
نقيض ما يبعثه الحسد عليه فيمدح المحسود عند بعثه على القدح
ويتواضع له عند بعثه على التكبر ويزيد في الانعام ان بعثه على الكف
المنع
فيتبع وبهذه التكلفات تمام الموافقة وتنقطع مادة الحسد ويستريح
القلب من المه وغمه * فهذه ادوية نافعة جدا الا انها
مرة جدا لكن النفع في الدواء المر فمن لم يصبر على مرارة الدواء
لم يظفر بحلاوة الشفاء

والباعث على هذه الخصال الحميدة الرغبة في ثواب الله و
الخوف من عقابه * وفقنا الله واياكم لاستعماله بمحمد وآله

الفصل الخامس في كفارة الغيبة

اعلم ان الواجب على المغتاب ان يندم ويتوب ويتأسف على
ما فعله ليخرج من حق الله تعالى ثم يستحل المغتاب ليحله فيخرج عن
مظلمته وينبغي ان يستحله وهو حزين متأسف نادم على فعله
اذ المرائي قد يستحل ليظهر من نفسه الورع وفي الباطن لا يكون
نادما فيكون قد قارف معصية اخرى وقد ورد في كفارتها
حديثان احدهما قوله عم كفارة من اغتبته ان تستغفر له والثاني
قوله عم من كانت لاخيه عنده مظلمة في عرض او مال فليستحللها
منه من قبل ان يأتي يوم ليس هناك درهم ولا دينار يؤخذ من
حسناته فان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فزيد
على سيئاته ويمكن ان يكون طريق الجمع حمل الاستغفار
له على من لم يبلغ غيبته المغتاب فينبغي له الاقتصار على
الدعاء له والاستغفار لان في محالته اثارة للفتنة و
جلبا للضغائن وفي حكم من لم يبلغه من لم يقدر على الوصول
اليه لموت او غيبة وحمل المحالة على من يمكن التوصل اليه
مع بلوغه الغيبة

ويستحب للمعتذر اليه قبول العذر والمحالة استحبابا موكدا
قال الله تعالى خذ العفو الآية وقال رسول الله صلعم

يا جبرئيل ما هذا العفو قال ان الله يامرك ان تعفو عمن ظلمك
وتصل من قطعك وتعطي من حرمك وفي خبر آخر اذا جمع
الامم بين يدي الله ثم يوم القيمة نودي ليقم من كان اجره على
الله فلا يقوم الا من عفى في الدنيا وروي عن بعضهم انه جاء
قال له ان فلانا قد اغتابك فبعث اليه طبقا من الرطب
وقال بلغني انك اهديت الي حسناتك فاردت ان اكافئك
عليها فاعذرني فاني لا اقدر ان اكافئك على التمام
وسبيل المعتذر ان يبالغ في الثناء عليه والتودد ويلازم
ذلك حتى يطيب قلبه فان لم يطب كان اعتذاره وتودده
حسنة محسوبة له قد تقابل سيئة الغيبة في القيمة
ولا فرق بين غيبة الصغير والكبير والحي والميت والذكر
والانثى وليكن الاستغفار والدعاء له على حسب ما يليق بحاله
فيدعو للصغير بالهداية وللميت بالرحمة والمغفرة ونحو ذلك
ولا يسقط الحق باباحة الانسان عرضه للناس لانه عفو عما
لم يجب وقد صرح الفقهاء بان من اباح قذف نفسه لم
يسقط حقه من حده وما روي عن النبي ص ايعجز احدكم ان يكون
كابي ضمضم كان اذا خرج من بيته قال اللهم اني تصدقت

بعرضه على الناس ومعناه انى لا اطلب مظلمة فى القيمة ولا اخاصم
عليها لا ان غبينة صارت بذلك حكما ويجب التنبيه لصاحبها
فى الكفاءات والله الموفق

واما الخاتمة

فاعلم وفقك الله تعالى وايانا ان الغرض الكلى الحقيقى من الخلق
والقصد الاولى من بعثة الانبياء والرسل وانزال الكتب الالهية
والنواميس الشرعية انما هو جذب الخلق الى الواحد الحق
سبحانه ومعالجة نفوسهم من داء الجهل والتفاتها الى دار الغرور
ورضاها بهذه الدار وحمايتها ان ترد موارد الهلاك اذا
كانت من ذلك على خطر وتشويقها الى ما لا عين رأت ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم تتميما لذلك المقصود من
تدبير المعاش البدنى وسائر اسباب البقاء للنوع الانسانى
وكان ذلك موقوفا على الاجتماع والتعاون والتعاضد بالتعلم
والتعليم وتذكير المعارف للغافل بالعهد القديم واستعانة
كل واحد بالاخر فى تحصيل نفعه اذ كان الانسان مدنيا بطبعه
لا يستقل وحده بتحصيل معاشه ولا يقدر على استنباط
جميع اغراضه من ماكله ومشربه فلا جرم توقف غرض الحكيم

جبل جبلهم على الاجتماع و تالف القلوب و المواددة حال الشهود و المغيب فلذلك نطافرت الاخبار و الاثار بالحث على التوادد و النهي عن التباين و التحادد و اكد على عباده لبعضهم بعضا الحقوق و حذرهم من الكفران و العقوق و وعدهم على التالف و التعاطف جزيل الثواب و اوعدهم على ترك ذلك التعهد بالنكال و العقاب كما ستقف عليه ان شاء الله في ضمن ما نورده من الاخبار عن النبي و اله الاخيار الاطهار و لنذكر فيما يناسب هذه الرسالة اثني عشر حديثا ايثارا للاختصار و مراعاة لحال الناظرين و في ذلك فليطالع من الكتب المصنفة فيه ككتاب الاخوان للصدوق ابن بابويه رضوان الله عليه و كتاب الايمان و كتاب العشرة من غيرهما من كتب الكافي للكليني قدس الله سره فان فيهما بلاغا و اي بلاغ لاهل الاعتبار و دواء شافيا لاولي الابصار